مفهوم فلسفة الدين

مما سبق يمكننا القول إن «فلسفة الدين» هي ذلك الفرع من الفلسفة الذي يختص بالتأمل الفلسفي حول الدين بصفة عامة، بهدف فحص الموضوعات الدينية، وبحث طبائع الا عتقاد، بطرق عقلانية وبرهانية خالصة، دون الاعتماد على دين مع ين ودون النحياز المسبق للدفاع أو التبرير أو التبشير أو الهجوم.

وتتعدد تعريفات «فلسفة الدين» ما بين تعريفات معجمي قاموسية اصطلاحية ، أو تعريفات اشتراطية أو إجرائية، كما تتعدد التعريفات أيضا حسب منظور كل فيلسوف، وهذا الطابع التعددي هو طابع كل مجال ينتمي إلى الفلسفة بوجه عام.

ومع ذلك يمكن تعريف «فلسفة الدين» بصورة تقريبية إلى حد كبير اعتمادا على القواميس والموسوعات والمؤلفات المتخصصة، وخاصة في التعريف الاصطلاحي، فهي حسب قاموس كامبردج الفلسفي: «ذلك الحقل من الفلسفة الذي يُ كرس لدراسة الظواهر الدينية. فإذا كانت الأديان في العادة تتكون من مضامين معقدة من النظرية والممارسة وتشتمل على أساطير وطقوس غير معقولة، فإن فلاسفة الدين يهدفون إلى تقييم ادعاءات الحقائق الدينية من منظور عقلاني خالص».

وهي حسب موسوعة روتليدج الفلسفية المختصرة : The Shorter Routledge Encyclopedia of Philosophy «فلسفة الدين هي التأمل الفلسفي في الدين» وترى هذه الموسوعة وهي بصدد تعريفها أن «فلسفة الدين» قديمة قدم الفلسفة ذاتها، وأنها جزء أصيل من الفلسفة الغربية في كل عصورها، وقد شهدت تطورا عظيما في النصف الأخير من القرن العشرين، وبرز لها مجموعة من الفلاسفة الذين تخصصوا في بحث الموضوعات الدينية بحثا فلسفيا.

كا ترى أنها تنقسم - في بعض الأحيان - إلى قسمين: فلسفة خاصة وفلسفة اللاهوتPhilosophy of Religion Properبالدين. Philosophy of Theology وقد عكس هذا التقسيم نوعا من عدم الارتياح بين الفلاسفة، وخاصة في الفترة السابقة على الفلسفة التحليلية. وخلالها رأى الفلاسفة أن التفكير الفلسفي في الدين يلقى استحسانا إذا عمل على استخلاص التوحيد من كافة الأديان، لذلك اعتبره البعض لاهوتا لا فلسفة.

ولذلك أصبح الفلاسفة المعاصرون لا يترددون في دراسة أي جانب من جوانب الأديان، بما فيها المذاهب والممارسات الخاصة بالأديان الفردية، أي إنها لم تقتصر على تلك المذاهب والممارسات ذات الهتمامات الفلسفية العامة.

وغالبا ما تثير «فلسفة الدين» - حسب الموسوعة المختزة - أسئلة تكون مفيدة لقضايا فلسفية مختلفة، كالتأمل في الفكرة المسيحية للتقديس على سبيل المثال، كما تسلط الضوء على بعض المناقشات المعاصرة حول طبيعة حرية الإرادة ويأخذ الباحث على هذا التعريف

مآخذ شتى، أهمها القول بأن فلسفة الدين قديمة قدم الفكر الفلسفي ذاته، لما في ذلك من خلط واضح بين فلسفة الدين، واللاهوت، والفلسفة الدينية.

كما تعرف فلسفة الدين بأنها: «التحقيق العقلاني الفونصي (النص المقدس) في حقيقة الدين وكيفيته وسببيته، ومقولته وتعاليمه الأساسية،» أو «البحث الفلسفي في الدين وفي شأن الدين» أي البحث الفلسفي لكل ما هو ديني وتناوله بالشرح والتفسير والبيان والتحليل دون ال نطلاق من موقف مسبق مؤيد أو رافض.

كما أن أشهر التعريفات العربية لمصطلح «فلسفة الدين» هو ما قدمه المصري محمد عثمان الخشت، بأنها «التفسير العقلاني لتكوين وبنية الدين من حيث هو دين، أي عن الدين بشكل عام من حيث هو منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمور مقدسة، ومن حيث هو نمط للتفكير في قضايا الوجود، وامتحان العقائد والتصورات الدينية للألوهية والكون والإنسان، وتحديد طبيعة العلاقة بين كل مستوى من مستويات الوجود، والبحث في الطبيعة الكلية للقيم والنظم والممارسات الدينية، ونمط تطور الفكر الديني في التاريخ، وتحديد العلاقة بين التفكير الديني وأنماط التفكير الأخرى، بغرض الوصول لتفسير كلي للدين، يكشف عن منابعه في العقل والنفس والطبيعة، وأسسه التي يقوم عليها، وطبيعة تصوره للعلاقة بين المتناهي واللامتناهي، والمنطق الذي يحكم نشأته وتطوره واضمحلاله»

ويعرف عادل ضاهر «فلسفة الدين» تعريفا إجرائيا، فيقول: «تتناول فلسفة الدين أسئلة تتعلق بإمكان معرفة وجود الله، ومعرفة صفاته، وكيفية تحديد العلاقة بين الله والعالم، وكيفية فهم طبيعة الله (ماهيته) والعلاقة بين وجوده وماهيته. كذلك تتناول فلسفة الدين أسئلة تتعلق بطبيعة الدين نفسه وطبيعة اللغة الدينية، بالإضافة إلى أسئلة تتعلق بمعنى العبادة الدينية ودور الإيمان فيها وعلاقة الأخير بالعقل»

كما يمكن تعريف «فلسفة الدين» تعريفا اشتراطيا بأنها: مبحث فلسفي لا ينتمي إلى الإلهيات، أي التدوين المنهج للعقائد الدينية، ولا يتوخى الدفاع عن المعتقدات الدينية أو تبريرها، ولا علاقة للفلسفة الدين بإيمان فيلسوف الدين أو عدم إيمانه، فهو باحث محايد يتحرى الدقة والموضوعية والأدلة العقلانية في بحثه، و شأن له بإثبات العقائد الدينية أو نفيها. وهي فلسفة من الفلسفات المضافة، مثل فلسفة التاريخ، فلسفة القانون، فلسفة الجمال، إلخ، ولا تختص بدين معين، فهي مثل فلسفة العلم لا تنتمي لعلم معين.

ومع ذلك لا يمكننا القول بأن هذه التعريفات السابقة قد عبرت عن التعريف الأوفى لمفهوم «فلسفة الدين»، لأن هناك رؤى أخرى تقدم تعريفات متباينة مع هذه التعريفات. ويرجع ذلك إلى أن «المتأمل لا بد أن يلحظ أن العمر الإبستمولوجي لاختصاص«فلسفة الدين»ـ وهو اختصاص لئن مرت على نشأته مائتا عام ونيف، فهو لا يزال في تقدير العارفين بها تقليدا في البحث فتيا ـ قد مر بعدة أطوار، بعضها متوال وبعضها متواز، إلا أن التوالي أو التوازي لم يطمس في أحدهما أو كليهما طبيعة الإشكال الهادي، ولا البنى المخصوصة التي تهيكلت المسائل من خلالها، ولا الرهانات الفلسفية التي حركت كل طور منها»

أي إن التحديد الحقيقي لمفهوم «فلسفة الدين» بوصفها تفكيرا فلسفيا حول الدين ما زال مطروحا أمام الباحثين في الشرق والغرب. إذ لا يزال البعض من الباحثين في الغرب والشرق (منهم على سبيل

المثال: ميرولد وستفال Merold Westphal- مصطفى النشار) يخلطون بين اللاهوت الطبيعي (الفلسفي) وبين فلسفة الدين، ويرون أن مصطلح فلسفة الدين الذي ظهر في أواخرالقرن الثامن عشر ما هو إلا لفظ بديل جاء ليحل محل مصطلح اللاهوت الطبيعي الذي كان سائدا قبل ذلك. إذ يقول الباحث المعاصر «ميرولد وستفال» إنه لا يوجد تمييز واضح ومتسق بين ما يعرف بـ«اللاهوت الفلسفي» و«فلسفة الدين،» اللهم إلا إذا اعتبرنا أن الفارق بينهما يقوم على أساس لغوي خالص، في أن «اللاهوت الفلسفي» يكون موضوعه الأساسي هو «اللّه،» في حين يكون الموضوع الرئيسي لـ«فلسفة الدين» هو الدين أو المشكلات الدينية. وقد تحول اللاهوت الطبيعي إلى «فلسفة الدين» في العصر الحاضر مرة واحدة في الفترة من ديفيد هيوم وإيمانويل كانت إلى فريدرك نيتشه . بينما يؤكد مصطفى النشار الفكرة ذاتها من منظور شرقي في كتابه «مدخل جديد إلى فلسفة الدين» مرتئيا أن فلسفة الدين مبحث فكري وفلسفي قديم قدم الأديان ذاتها.

خلاصة القول إن «فلسفة الدين» هي فرع من الفلسفة الراهنة الذي يهتم بدراسة المفاهيم والقضايا والمعتقدات الدينية بشكل عقلاني خالص دون تحيز أو تبني مواقف أو أيديولوجيات مسبقة.أو كما يقول أحد الباحثين: «لا يأتي الفيلسوف إلى الكلام في الدين إذن لأسباب أو لدواع دينية، ومن يفعل ذلك يلقي بعتمة ثقيلة على التفكير، إذ هو يخلط بين حاجة العقل وبين الدعوة الدينية».

اما اللاهوت الطبيعي أو الفلسفي فهو الذي يؤكد على إمكانية الاستدلال العقلي على كافة المعتقدات اللاهوتية دون الاستعانة بالوحي. وهو يقابل اللاهوت الوحياني أو اللاهوت النقلي الذي يتخذ من الوحي طرقا للوصول إلى المعتقدات. ويرجع البعض باللاهوت الطبيعي إلى القديس توما الأكويني 1225(Thomas Aquinas- ،١٢٧٤في حين أنه يعود إلى أقدم العصور الفلسفية التي اعتمدت على العقل في إثبات المعتقدات الدينية. فالفلاسفة اليونان استخدموا الأدلة العقلية في البرهنة على وجود اللّه، وتبعهم في ذلك فلاسفة الإسلام الذي كان التوفيق بين الفلسفة والدين هو محور فلسفتهم.